مجلة المعالم

العدد : ١٨٨ الموافق في ذو القعدة ١٤١٧ هجري ٤ / ١٩٩٧ ميلادي

عنوان المقال : الجدية في العمل الإسلامي –٢–	بقلم : الأستاذ متولي موسى

نشر الجزء الأول من هذا الموضوع في العدد ١٨٦ ، ونعتذر للكاتب وللقراء عن عدم نشر القسم الثاني في العدد ١٨٧ ؛ لذا وجب التنبيه.

٣. اتخاذ الأسباب للتحلي بمكارم الأخلاق

لقد دلت التجارب عبر التاريخ على أنه لا يمكن أن تكون بين الجماعات علاقات تعاون وتفاهم ، ما لم تكن هناك روابط على أساس الفضائل بوصفها الدرجات الرفيعة في حسن الخلق ، مع التأكيد على فضيلة العقل بوصفها إحكام الفكر الموصل إلى الحكمة التي تضبط السلوك وتوجهه وفق مقتضى الدين القويم والعقل السليم...

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن همُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ولو فرض أن قام مجتمع ما على أساس تبادل المنافع المادية فقط فلا يمكن أن تستقيم الحياة ، وأن يتحقق الانسجام بين أفراد ومؤسسة المجتمع ، من غير وجود حدّ أدنى من مكارم الأخلاق ، مثل: الصدق والأمانة والوفاء بالعقود والعهود...الخ. ففي ظل غياب الحد الأدنى من مكارم الأخلاق والقيم تتفكك شبكة العلاقات ، ويتصارع الأفراد ، وينتشر الفساد ، ويسود الطغيان ، ويتحقق الانهيار والدمار...

وللتدليل على ذلك نضرب المثال بالصدق ، الذي هو خلق ثابت في الإنسان السوي ، ومَعقد من معاقد روابط شبكة العلاقات الاجتماعية في كل مجتمع ، ويُعرّف الصدق بأنه مطابقة الخبر الواقعَ ، واستواء الظاهر والباطن ، والعلانية والسرّ ، ولا يتحقق ذلك في حياة الفرد والمؤسسة إلا بموافقة العمل لمقتضى أوامر الوحي ، قال خالق الإنسان العليم اللطيف بخلقه : { **طاعة وقول معروف فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم ❋ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم** }[محمد:٢١-٢٢] ، وقال الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ : « **إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة ، وإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً** » [متفق عليه] ، وقال ﷺ : « **البيعان بالخيار ما لم يتفرقا ، فإن صدقا وبينا بورك**

لهما في بيعهما ، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما » [متفق عليه].

أي أن الصدق تنعقد عليه ثقة الآخرين بما يُحدّث به الإنسان ويخبر عنه في المجالات المختلفة ، كما تنعقد به الثقة في مجال المعاملات ، وفي مجال العهود والوعود والمواثيق... وغير ذلك من المجالات ، فمتى انهارت بين الفرد أو المؤسسة والآخرين فضيلة الصدق ، انقطعت ما بين الإنسان والآخرين رابطة عظمى ، وأصبح الناس لا يصدقونه فيما يقول ، ولا يثقون به على كل مستوى ، فلا يوكلون إليه أمراً ، ولا يعقدون بينهم وبينه عهداً. لأنهم يُرجّحون في كل ذلك كذبه ، بعد أن أمست رذيلة الكذب هي الخلق الذي عهدوه منه...

بتحقق الصدق تتحقق جميع المقامات والأحوال التي يتطلبها البر (جماع الخير) ، فكلها تفتقر إليه. حتى الإخلاص يفتقر إلى الصدق ، والصدق وحده هو الذي لا يفتقر إلى شيء ، وكل إنسان يتمتع بخلق الصدق ويعرف قيمة القيام عليه بالاستقامة ، يندفع إلى التمسك بالبرّ { **ليس البرّ أن تولوا وجوهكم قِبلَ المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكينَ وابنَ السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون** } [البقرة:١٧٧].

٤- اليقين في أن الله تعالى ينصر المؤمنين

اليقين هو اطمئنان النفس إلى حكم الله تعالى مع الاعتقاد بصحته. وهذا الذي أرشد الله تعالى إليه بقوله : { **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما** }[النساء:٦٥].

إن الله تعالى مع المؤمنين ، ينصرهم ويثبت أقدامهم ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور ويهديهم سواء السبيل ، والاعتقاد أن العاقبة للتقوى ، وأن الحق ثابت يعلو ، وأن الباطل مدحور زاهق لا محالة. وقد جاءت النصوص القطعية الدلالة بذلك نُذكّر منها هنا بما يلي :

- { **إنّا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا...** } [غافر:٥١].
- { **إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانيَ اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا** } [التوبة:٤٠].
- { **يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** }[محمد:٧]

- { **بلْ نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق** }[الأنبياء:١٨]

والتاريخ يؤكد هذه الحقائق فلقد أصيبت الأمة الإسلامية بأدواء ونكبات متعددة منذ فجر تاريخها ، ولكنها استطاعت أن تتغلب على عوامل الضعف الداخلية ، وعوامل الغزو الخارجية ، واستطاعت أن تحول الهزائم إلى انتصارات ، وأن تحول الضعف إلى قوة ، والتفرق إلى وحدة...

وأثبت التاريخ أن الصحوات الكبرى في هذه الأمة لم يصنعها إلا الإسلام العظيم ، حين علت كلمته وتحرك الجند تحت رايته في مواطن كثيرة ، منها :

- **حروب الردة** : في عهد الخليفة الأول ﷺ .
- **حروب الصليبيين** : في عهود عماد الدين زنكي ، ونور الدين محمود ، وصلاح الدين الأيوبي رحمهم الله تعالى.
- **غزو التتار للعالم الإسلامي** : فبعد أن دمروا بغداد وأسقطوا الخلافة العباسية... انتصر المسلمون على التتار مرتين:

١-انتصروا عليهم عسكرياً في معركة حاسمة قادها سيف الدين قطز ، في معركة عين جالوت في ٢٥/رمضان/٦٥٨هـ ، أي بعد سنتين فقط من سقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ

٢-وانتصروا معنوياً ، حين دخل التتار في الإسلام باختيارهم ، وسجل التاريخ لأول مرة دخول الفاتحين الغالبين في دين المغلوبين ، وتلك واحدة من معجزات الإسلام العظيم.

وأخيراً: لقد كان الإسلام ، في ظروف تخلف المسلمين في عصرنا ، هو المحرك للجماهير في معارك تحرير الأوطان الإسلامية من الاستعمار.